تصنيف الاحياء والفاظه العربية

بحثٌ علميٌّ لغويٌّ

بين الامير مصطفى الشهابي والدكتور محمد شرف

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الالفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على تلك الاحياء مع مقابلها بالانكليزية . وبعد ان امعنت النظر في تلك الألفاظ وجدت أن الدكتور المحترم قد شذَّ في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل العلامة الدكتور بوست في كتاب « مبادىء علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيد يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب «التاريخ الطبيعي» وكبار مؤلفي الترك في كتبهم، دع غيرهم وهم كُثر ممن لم نقرأ تصانيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما لهذا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الاسطر الموجزة

يوجد بين الأحياء افراد تتشابه في خلقها وتحليلها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكافراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكوّن نوع الضأن كما ان مجموع نبات الحنطة تكوّن نوع الحنطة . وقد ميَّز الانسان الأنواع منذ ازمان متوغلة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمى كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نعجة ، واذا رأى سنابل من الحنطة سمى كل نبتة منها حنطة ولم يسمها شعيراً . فالضأن نوع والبقر نوع وكذا كل من الحنطة والشعير وهكذا . ويطلق الفرنسيون لفظة *Espèce* على ما اسميناه نوعاً . وكل رأس من الضأن او كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً وبالفرنسية *Individu*

قلت ان الحنطة نوع . ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون لعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسان لكنها كثيراً ما تتبدل او تزول مع الزمن . فهذه الافراد هي من صنف واحد كالصنف الحوراني من

الحنطة وكالصنف الحموي من المشمش الخ. والصنف بالفرنسية *Variété* وقد اطلق عليه العلامة الدكتور صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب «البقول» وكتاب «الدواجن». لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً اخرى كما سيجيء. وقد اوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية. وهو يحفظ صفاتها بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القضبان والعكس (ج عكس وهي الترقيدة)

ورب اصناف في الحيوان خاصة تأصلت فيها الصفات ورسخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ما دام افراد هذه الاصناف يسفد بعضها بعضاً دون ان تنزو عليها افراد من صنف آخر فتهجنها. فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمى عرقاً وبالفرنسية *Race* كعرق العراب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ. وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الالفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما سترى

يتضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عروقاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مرض وخمسون شجرة من المشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علمياً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانية خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع المشمش. فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع فلننظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات

***

اذا القيت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتها متشابهة في كثير من صفاتها. فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد. وكذا نوع الابل ذوات السنام الواحد ونوع الابل ذوات السنامين. والجنس هو بالفرنسية *Genre*. وقد وضع له الطبيعي ليفيوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء. ذلك انها لما كانت تسمى جميعاً باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمي) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركباً من لفظتين الاولى منهما تدل على الجنس والثانية على النوع. فنوع البقر مثلاً هو *Bos taurus* ونوع الجاموس *Bos bibelus* فترى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما اذن من جنس واحد

ثم يجب ان يجمع الاجناس شيء فهذا الشيء هو الفصيلة وبالفرنسية *Famille* فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبيل اطلاق اسم البعض على الجميع). والحنطة والشعير والذرة والارز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة تدعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من أجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة وبالفرنسية *Tribu* . فما يأتي فوق الجنس هو القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل

ثم هنالك المتشابهات من الفصائل فانهُ يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الابل مثلاً فان انواع كليهما مجترة لذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية *Ordre*

ويعد الرتبة يأتي الصف *Classe* وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وآكلة اللحوم وذوات اليدين (الانسان) وغيرها من الرتب . ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتب النجيليات وغيرها

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة *Embranchement* مثالها في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف الزاحفات الخ وفي النبات شعبة ذوات الازهار فان فيها صف ذوات الفلقة وصف ذوات الفلقتين

وليس فوق الشعبة شيء سوى دوحة النبات ودوحة الحيوان

يستنتج مما ذكر انهُ اذا كان لديك جاموسة بلدية مثلاً قلت انها فرد من العرق البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة المجترات وصف ذوات الثدي وشعبة ذوات الفقرات

ولا يجوز أن تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القارىء وضاعت الفائدة من التصنيف فلم يعد ذلك القارىء يعرف في اي حلقة علمية يجب ان يضع النبات او الحيوان المبحوث عنهما

***

فالافرنجيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل . ومجموع تلك الالفاظ الفرنسية هي من فوق الى تحت *Individu Variété Race Espèce Genre Tribu* اما نحن فقد راح كلٌ منا يترجم هذه الالفاظ بما يراه وسبب كون التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين أو عند من تقدمهم من الامم. فلفظة نوع مثلاً نراها في الكتب العربية القديمة تدل على معانٍ شتى من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها . وهكذا لفظة جنس وغيرها

وهاك ما وضعهُ بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع

	الدكتور بوست في كتاب علم النبات	الدكتور بوست في نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات	الدكتور صروف	مؤلفو اترك	علي رياض في كتاب علم النبات	الدكتور شرف	الامير مصطفى الشهابي
Individu	الفرد	الفرد	كان يستعمل الفاظ الدكتور يوست ويخطىء الذين يشذون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس وكان يرى ان اصح لفظة تترجم بها *Variété* هي «صنف»	الشخص او الفرد	الفرد	الفرد	الفرد
Variété	التباين	التباين		التنوع	الصنف	الضرب	الصنف
Race	لم اجد شيئاً يقابلها	لم انتبه لما وضعه لها		العرق	لم اجد له ما يقابلها	السنخ او الشعب	العرق
Espèce	النوع	النوع		النوع	النوع	النوع	النوع
Genre	الجنس	الجنس		الجنس	الجنس	الجنس	الجنس
Tribu	السبط	السبط		القبيلة	القسم	القبيلة	القبيلة
Famille	الفصيلة او العائلة	الفصيلة او العائلة		الفصيلة	الفصيلة	الفصيلة	الفصيلة
Ordre	لم اجد شيئاً يقابلها	الرتبة		الفرقة او الرتبة	الرتبة	الرتبة	الرتبة
Classe	الصف	الصف		الصف	لم اجد له ما يقابلها	القسم	الصف
Embranchement	الرتبة	القسم		الشعبة	القسم	القبيل	الشعبة

هذه هي الالفاظ التي وردت في كتاب الموما اليهم او مقابلات [illegible] على التتابع . من البديهي انهُ يوجد هناك اقسام اخرى في التصنيف كتحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي تجمعها الشعبة وكتحت الصف او ردف الصف الخ . ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير متفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لا تهمنا كثيراً . انما ما يهمنا فهو ان نتفق نحن على الفاظ عربية ثابتة تترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات . ويستبين مما ذكرت ان جميعنا متفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية الآتية : *Ordre, Famille, Genre, Espèce, Individu* اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها بايجاز . ولنبدأ بالاساس اي بلفظة *Embranchement* فقد خالف فيها الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسماها القبيل وسماها الشعبة . وقال ان القبيل هو اول قسم من التفصيل وانهُ بمنزلة الجذع من الشجرة فنحن لا نوافقهُ على

رأيه هذا لان لشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشعب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعبة او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيما ترجموه حرفيًا بالمملكة النباتية والمملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة نترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي تطلق في اللغة على اغصان الشجر الفلاظ وعلى الطائفة من الشيء وتستعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استُعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبيل التي لا تفيد معنى التشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين . ولنهبط الى الحلقة التي تليها *Class* فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا الدكتور شرف يخالفهم ويترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لا سيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمي الـ *Sous-classe* صفاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف »

ثم لنهبط الى الحلقة التي تليها *Tribu* فقد وضع لها العلامة بوست لفظة سبط وترجمها الباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان ورعا كانت الثانية اصلح

اما لفظة *Race* فانها تدل على الصنف او الضرب الذي تأصلت صفاته ورسخت وثبتت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقرها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اكثر من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سلالة التي وضعها الدكتور محمد شرف فمعناها في لغة البلغة يقرب من معنى العرق ، وبوست اراها موافقة . وكذا لفظة الشعب التي خُص بها الانسان اليوم فصارت الآذان لا تألف مثل قولنا «شعب البقر البلدي او شعب الكلب الرقي . . . » . ولديَّ كتاب مؤرخ في ١٩ مارس ١٩٢٥ وكان وجهه اليَّ العلامة الفقيد الدكتور صروف وبه يقول انهُ يرجح رفع لفظة عرق من احدى مقالاتي في الخيل العراب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق *Race* هو الصنف (*Espèce*) الذي تأصل وانهُ من الضروري التفريق بين المعنيين اقرَّ لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة رس استعملها العلامة اللغوي الأب انستاس الكرملي لهذا المعنى ولا اظنها تساوي لفظة عرق

وقد اجاد الدكتور شرف باتقاء لفظة ضرب مقابل لفظة *Variété* وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذا المعنى في غير مكان من كتبي لكن لفظة صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لا اظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين . وهما ترجمان بنظري لفظتي التباين والتنوع

وهنالك لفظة *Hybride* التي لم نجد عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تساقد حيوانين ينتسبان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ . وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النغل والخنيس والهجين واليسر . فأنا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الالفاظ للدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين منتسبين لنوعين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الأب من نوع الخيل العراب والأم من عرق البراذين او الأكاديش وهو ما يسميه الفرنسيون *Métis* ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد *Croisement* . فأنا أرى ان الولد المذكور هو الهجين بعينه وهو ايضاً الخلاسيّ وطريقة الضراب هي التهجين . اما الهبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التنفيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل [1] . ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته بغلاً مع العلم بأن النغل في اللغة ليس سوى ابن الزنية

***

وبعد لقد كثرت الآراء في الالفاظ العربية التي يجب استعمالها لحلقات تصنيف الاحياء حتى اني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأباشر طبعه عن قريب العبارة الآتية وهي: اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حتى) فأنا اقول (اموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات) ... ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا اخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلمية عامة حتى تصح عزيمة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعو اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة وهناك في حضرة ارهاط العلوم والفنون واللغة تثبت الألفاظ للعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بعدئذ ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الألفاظ التي تُثبت دون غيرها . فهل تظنون أنا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر !

دمشق مصطفى الشهابي

(١) راجع ما نشرته لهذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٢٢ من المقتطف والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق

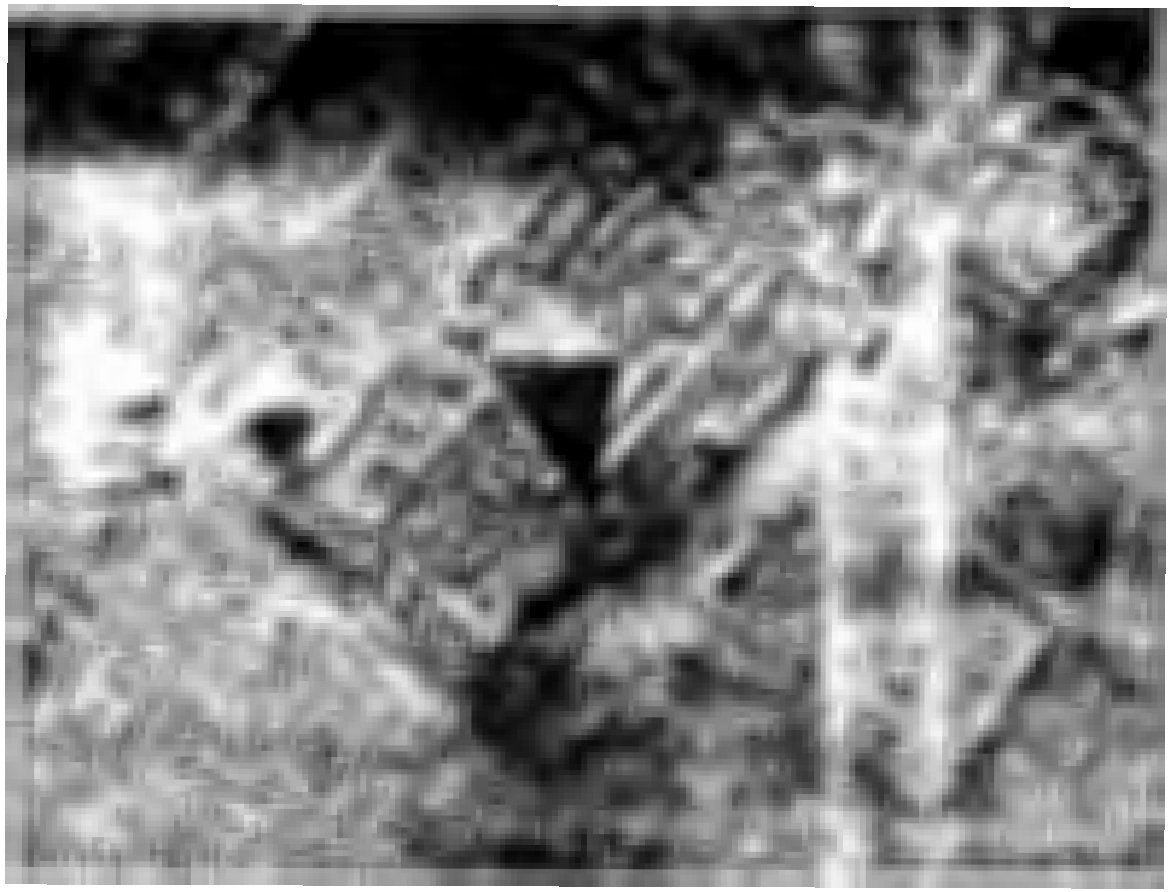

هرم سقاره المدرج من الجو وصور المخفريات التي حوله بالذمن السلاح الجوي الملكي نقلا عن مجلة « الاهرام »
المقتطف ابريل ١٩٣٠ امام الصفحة ٤٢٧